غلاما لانى صاحب فرس واما غيرى فلا فرس له فيقال هو الذى اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس
والغلام معا او يعطى احدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغى ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما
ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور فى حق الملوك ولا يتصور فى حق
الجبار ملك الملوك والمنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك
وقلت ــــ وفقنى للعبادة لحبى له فيقال ومن خلق الحب فى قلبك فستقول هو فيقال فالحب
والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون
الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب
العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه لان كل ذلك من فضل الله تعالى وانما
هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكننى ان اجهل اعمالى
وانى انا عملتها فانا انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملى لما انتظرت الثواب فان كانت ــــ الاعمال
مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن اين لى الثواب وان كانت الاعمال منى وبقدرتى فكيف لا اعجب بها
فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك
وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين
بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة
ولو اردت ان تنفى شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر ثم خلق تعالى الحركات فى اعضائك مستبدا باختراعها
من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع الا انه تعالى خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق فى
العضو قوة وفى القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما ما لم يخلق القلب الذى هو محل
العلم فتدرجه فى الخلق شيئا بعد شىء هو الذى خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفيه
الثواب ــــ على عمل هو من خلق الله تعالى سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه اليق به وارجع اليه
ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن
اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وبوجود علمك وارادتك وقوتك وسائر اسباب عملك وكل
ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحها وهذا المفتاح بيد الله تعالى ومهما لم يعطك
المفتاح فلا يمكنك العمل والعبادات ــــ خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة
والعلم وهى بيد الله تعالى لا محالة ارأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة فى قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن
ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح
لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح سلطك عليها

ومكنك منها فمددت اليد واخذتها اكان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد واخذها
فلا تشك فى انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة فى تحريك اليد باخذ المال قريب انما الشان كله فى
تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعى والبواعث وصرف عنك
الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف
العوائق وتهيئة الاسباب ــــ كلها من الله تعالى ليس شىء منها اليك فمن العجائب ان تعجب
بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وكرمه وفضله فى ايثاره اياك على الفساق من عباده
اذ سلط دواعى الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اقران السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم
من اسباب ــــ الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها
عليك حتى تيسر لك وتيسر له الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من
الفاسق العاصى بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصى واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك
بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تتصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله تعالى عليك داعية لا تجد
الى مخالفتها سبيلا فكانه الذى اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتى
فى كتاب ــــ التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب بالمسببات ما يستبين به
انه لا فاعل الا الله تعالى ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله تعالى عقلا وافقره ممن
افاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعنى قوت يومى وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم
الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدرى المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا
لكان ذلك بالظلم اشبه فى ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى عنهما
فهلا جمعتهما لى او هلا رزقتنى احدهما والى هذا اشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال ــــ العقلا فقرا
نقير عليهم فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغنى
احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا
ذلك يدل على ان نعمة الله تعالى عليه اكثر فلم يتعجب منه والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الذميمة
الخلق القبيحة فتتعجب فتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة وتخص مثل القبيح ولا تدرى
المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذا
نعمة الله تعالى عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتنى الدنيا واعطيت الجهال كقول من
اعطاه الملك فرسا فيقول يا ملك لم لا تعطينى الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك
الفرس فهب انى ما اعطيتك ــــ اكانت نعمتى عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى
فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق فان العبد وعمله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)